CC BY NC

مجلة الدراسات المقاصدية المعاصرة
JOURNAL OF CONTEMPORARY MAQASID STUDIES
journal.maqasid.org
ISSN 2831-5049
Vol. 1, No. 2, 2022, p.159-164
journal.maqasid.org
DOI: 10.52100/jcms.v1i2.91

حوار مع الدكتور أحمد الريسوني[1]

مجلة دراسات مقاصدية معاصرة[2]: نشكر الدكتور أحمد الريسوني على موافقته إنجاز حوار مختصر لفائدة مجلة دراسات مقاصدية معاصرة، ونسعى من خلال هذا الحوار أن نضع الأصبع على مجموعة من الإشكالات التي ترتبط بعلمي الأصول والمقاصد.

يعد الدكتور أحمد الريسوني على رأس الباحثين في المقاصد اليوم، وهو معروف بكتاباته التأصيلية والتأسيسية لعلم المقاصد، كما أشرف الأستاذ على كتاب التجديد الأصولي، إضافة إلى كتابه في تجديد علم أصول الفقه في ضوء مقاصده، مما يجعل الأستاذ متخصصا مدققا وناقدا لكثير من القضايا المعرفية والمنهجية لعلم أصول الفقه والمقاصد.

م.د.م.م: ما رأيكم في واقع علم أصول الفقه اليوم؟

أحمد الريسوني: منذ الأمير الصنعاني والإمام الشوكاني، إلى مصنفي القرن العشرين، يتحدث العلماء عن الانكماش والوهن الذين أصابا علم أصول الفقه؛ وذلك بسبب الطابع الكلامي التجريدي الذي هيمن عليه، فأصابه بالجفاف والتعقيد، وأيضا بسبب تباعد عامة العلماء عن الواقع وعن الاجتهاد له، مكتفين باجترار ما توارثوه.

لكن على مدى القرن الماضي وإلى الآن، نشهد عدة تطورات إيجابية، تتزايد وتتراكم، أذكر منها:

١. تكاثر الدعوات لتجديد علم أصول الفقه، وخاصة في غضون الأربعين عاما الأخيرة،

[1] - أستاذ المقاصد بكلية الشريعة، جامعة قطر، الدوحة.

[2] - سنشير إلى مجلة الدراسات المقاصدية المعاصرة التي حاورت الدكتور أحمد الريسوني اختصارا ب: م.د.م.م إشارة إلى اسم المجلة مختصرا في أوائل حروفها.

٢. تزايد التجاوب والاستجابة العملية لهذه الدعوات، حيث ظهرت مبادرات تجديدية عديدة، سواء في البحوث والدراسات الجامعية، أو في غيرها. وفي هذا الباب أود الإشادة على الخصوص بالعمل الريادي للشيخ محمد مصطفى شلبي صاحب أطروحة (تعليل الأحكام).
٣. ظهور عدة مؤلفات أصولية قديمة، ولكنها ذات روح تجديدية. وقد بقيت مغمورة مهمشة في زمانها، وفي العصور الماضية، لكنها الآن تجد قبولا وإقبالا، ولها تأثير جيد؛ مثل مؤلفات عز الدين بن عبد السلام، وشهاب الدين القرافي، وابن القيم، وأبي إسحاق الشاطبي، وعبد الحميد الفراهي.

لكن هذه التراكمات الإيجابية، لم تُحدث بعد طفرة ونقلة نوعية شاملة في حالة علم أصول الفقه.

م.د.م.م: هل أسهمت الصحوة المقاصدية في تراجع الاهتمام بعلم أصول الفقه في رأيكم؟

أحمد الريسوني: لا أظن ذلك، وليس لدي ما يفيده أو يؤكده. وربما يكون العكس هو الصحيح. فالدراسات المقاصدية أعطت علمَ الأصول نفَسا جديدا، فمنذ الشيخين عبد الوهاب خلاف وعلي حسب الله، أصبح عامة الأصوليين المعاصرين يُطَعّمون مصنفاتهم ودروسهم الأصولية بنفحات وشحنات مقاصدية منعشة للمباحث الأصولية. وعلى العموم أرى أن معظم العلوم والدراسات الشرعية قد استفادت - ولم تتضرر - من الصحوة المقاصدية.

م.د.م.م: ما رأيكم في مناهج تدريس علم أصول الفقه في بعض الجامعات اليوم؟

أحمد الريسوني: نحن بإمكاننا أن نتابع ونطلع على المصنفات والكتابات الأصولية الصادرة في مختلف الأقطار الإسلامية، ويمكننا أن نعرف ما يجدُّ وما يعتمل فيها، ولكننا لا نستطيع الاطلاع على أحوال التدريس الأصولي ومناهجه في مختلف الجامعات والمعاهد والمدارس الإسلامية عبر العالم. ولكن - وبصورة جزئية - يبدو لي أن مناهج التدريس متخلفة عما يكتب في المصنفات الحديثة. ومن مظاهر ذلك أن الاعتماد ما زال شبه تام على بعض المصنفات القديمة، وعلى رأسها المختصرات والشروح والحواشي.. فيبقى الأساتذة والطلبة أسرى لما فيها من آراء وأمثلة وأساليب، بينما المصنفات الحديثة الجيدة تبقى مهملة وغير معتمدة، مع أن لها فضلا لا ينكر، وفيها تحقيقات ومراجعات وإضافات لعلم أصول الفقه، كما لغيره

Copyright © 2022 JCMS

من العلوم الشرعية. وإذا كان فضل المتقدمين على المتأخرين مسألة مستقرة ومسلمة، فيجب أيضا أن نعترف بفضل المتأخرين على المتقدمين، ونعتمد مصنفاتهم وآراءهم الجيدة.

فمثلا لماذا لا يدرَّس الكتاب الرائد (تعليل الأحكام) لشلبي؟ وكذلك الكتاب الجميل المبدع (المدخل إلى علم أصول الفقه) لمعروف الدواليبي؟ ولماذا لا يدرَّس (النسخ في القرآن) لمصطفى زيد، وهو أجود وأصح ما كتب في بابه؟ وكذلك يجب الاحتفاء بمؤلفات فتحي الدريني، وهي أفضل وأنسب لنا من مؤلفات السبكي، على سبيل المثال؟

م.د.م.م: ما رأيكم في مناهج تدريس علم المقاصد؟

أحمد الريسوني: هذه أكثر تحررا من مناهج التدريس الأصولي؛ لأن تدريس المقاصد شيء حديث برمته. وأيضا العلماء المراجع في هذا الباب مجددون مبدعون.

ولكن لا شك أن مناهج التدريس للمقاصد لم تستقر بعد على نمط موحد أو أنماط معينة متقاربة. وحبذا لو أنكم في (معهد المقاصد) تعقدون ندوة أو مؤتمرا يخصص لتدارس الموضوع واستكشاف ما هنالك من تجارب ومناهج، ومحاولة تقريب الجهود والاجتهادات وتطويرها نحو الرشد والنضج.

م.د.م.م: اختلفت الآراء بين قائل بضرورة الفصل بين علم الأصول والمقاصد، وقائل بضرورة الوصل بينهما، ما رأيكم في هذه المسألة؟

أحمد الريسوني: هذه مسألة أعتبرها حسمت وانتهت منذ أوائل قرننا هذا، أعني القرنَ الخامس عشر. فمنذ إقرار واعتماد (مقاصد الشريعة) مادة دراسية مستقلة في الجامعات المغربية، ثم في بقية الدول العربية والإسلامية تباعا، أصبح النقاش في هذه المسألة نقاشا ماضويا، لا يقدم شيئا ولا يؤخر.

لكن هذا الاستقلال والتميز لعلم المقاصد، لا يعني "الفصل" ولا التباعد ولا التجافي، بل ستظل العلاقة الرحمية الحميمية بين الأصول والمقاصد قائمة دائمة، تفاعلية وتكاملية، مثلما هي علاقة الفقه بالأصول، والأصول بالكلام، وعلاقة الحديث بالفقه، وعلاقة التفسير بسائر العلوم الشرعية.. فالعلوم الشرعية كما قلت مرارا: ذرية بعضها من بعض..

Copyright © 2022 JCMS

م.د.م.م: اهتم مجموعة من الباحثين من تخصصات مختلفة نحو الفلسفة وعلم الاجتماع وغيرها من التخصصات الإنسانية بعلم المقاصد، ما رأيكم في هذه التوجهات؟ وماذا يمكنها أن تستفيد من المقاصد؟ وكيف يمكن الاستفادة منها لتجديد المقاصد؟

أحمد الريسوني: أنا من المؤيدين المتحمسين للتفاعل والتبادل بين العلوم كافة، وعندي ولع بذلك، وخاصة رصد وجوه التشابه بين الطب والفقه، وبين الطبيب والفقيه، أو بعبارة أكثر تدقيقا بين الطبيب والمفتي. فالمفتي طبيب نفسي واجتماعي، والطبيب مفتي صحي بدني. الطبيب يحفظ الأبدان والفقيه يحفظ الأديان. والقواعد الفقهية معظمها يمكن الاستفادة منها في الطب دراسة وممارسة، وكذلك قواعد التطبيب والعلاج مفيدة جدا للفقهاء والمفتين.

وأنا الآن أشرف على رسالة جامعية بكلية الشريعة بجامعة قطر، يعدها طبيب نفسي في موضوع "استعمال القواعد الأصولية في العلاج النفسي".

على العموم التخصص الضيق المعزول، يعطي ضيقا في النظر وضيقا في الفهم. فلا بد من التنويع والمشاركة والتبادل.

ومن الجدير بالذكر أننا في الاصطلاح الشرعي نتحدث عن "العلم" لا عن العلوم.

وفي كتاب العلم عند البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل الصحابة في مجلس العلم عن الشجرة التي لا تسقط ورقها..

فالعلم في جوهره واحد، ثم تشعبت وتناسلت فروعه، كما تفرعنا نحن وتناسلنا من آدم وحواء.. كلكم لآدم وأدم من تراب. وهذا التشعب مهما كثر وتنوع وأصبح علوما مختلفة، لا يلغي جوهر العلم وخصائصه وقواعده ومقاصده المشتركة.

وأنا دائما من أنصار الدراسات المقارنة والبحوث المشتركة، ما وُجد إليها سبيل. فمن خلالها نعرف الاستفادة المتبادلة الممكنة بين العلوم.

م.د.م.م: كيف يمكن الاستفادة من المقاصد لتجديد علم الأصول؟ وكيف يمكن الاستفادة من علم الأصول لتجديد المقاصد وتأصيلها؟

Copyright © 2022 JCMS

أحمد الريسوني: أما تجديد المقاصد، فالمقاصد علم جديد فتيٌّ نام، بحاجة إلى مزيد من الاستكمال والتقعيد والضبط، وهو ماض في طريق ذلك. وسنحتاج إلى تجديده يوم يصاب بالركود والخمول والاجترار..

أما بخصوص الاستفادة من المقاصد في تجديد علم أصول الفقه، فهذا صحيح مجرب كما يقال. وقد ذكرت قبل قليل أن كثيرا من الأصوليين المعاصرين بدأوا يمزجون مصنفاتهم وأبحاثهم الأصولية بقبسات مقاصدية وبروح مقاصدية. وبدأنا نجد في عناوين بعض المؤلفات: "دراسة أصولية مقاصدية". وفي كتابنا الجماعي (التجديد الأصولي) غير قليل من هذا المنحى، وخاصة فيما كتبته الدكتورة أمينة سعدي في باب الدلالات.. وعلى هذا النحو سارت مؤلفات خلاف وحسب الله والدريني وغيرهم.

وقد أصاب وأجاد الشيخ عبد الله بن بيه - هدانا الله وإياه - حين عبر بالاستنجاد بالمقاصد في مسائل أصول الفقه، وأعطى لذلك أمثلة عديدة من باب الدلالات..، أقصد في كتابه (علاقة أصول الفقه بمقاصد الشريعة).

ومعلوم أن رائد هذا المسلك والقدوةَ فيه هو الإمام الشاطبي رحمه الله. فتجديد علم أصول الفقه ومداواتُه بزرع المقاصد في شرايينه ومفاصله، هو ابتكار حصري للإمام الشاطبي.

م.د.م.م: ما هي آفاق البحث في علم أصول الفقه؟

أحمد الريسوني: يظن الكثيرون أن علم أصول الفقه وعلم الحديث من العلوم التي نضجت واحترقت، وانتهى القول فيها منذ قرون. وهذا مجرد قصور منهم في فهمها وبخس منهم لقيمتها..

وإذا كان الشاطبي وحده، وبكتاب واحد، قد أحدث ثورة أصولية في الفكر الإسلامي، فكيف إذا شمر الجيل الجديد والأجيال اللاحقة عن سواعد البحث المعمق في علم أصول الفقه، والعمل على تخصيبه وتفعيله وتخليصه من عوائقه؟

وتجديد أصول الفقه هو نفسه أفق كبير للبحث والإنتاج الأصولي. فالذين تحدثوا وما زالوا يتحدثون عن تجديد علم أصول الفقه اقترحوا عدة وجوه وأشكال وقضايا للتجديد الأصولي. فهذه الاقتراحات كلها أو معظمها يصلح للبحث والدراسة والتأليف والتطبيق.

Copyright © 2022 JCMS

ونحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة لفكر وتراث قدماء الأصوليين المجددين الذين هُمشت مؤلفاتهم وأهملت أفكارهم الأصولية؛ كالطبري، وابن حبان، وابن عبد السلام، وابن رشد، والطوفي، وشاه ولي الله الدهلوي، وأضرابهم من مختلف العصور.

ومن آفاق البحث الأصولي: الدراسات الأصولية المقارنة مع مناهج علوم وتخصصات أخرى، من زوايا التقاطع أو التكامل، أو التطابق، أو الاختلاف، أو المقارنة بين مقاصد العلمين أو المبحثين..

م.د.م.م: ما تقييمكم إجمال للصحوة المقاصدية المعاصرة؟

** طبعا ما يسمى الصحوة المقاصدية ما زالت تتشكل وتنمو وتنعقد مقرراتها ومصطلحاتها. وهي تسير شيئا فشيئا نحو النضج والرشد والاستواء، وتثبيت الخصائص وسد النقائص.

ولكن مع ذلك يمكن القول: إن الصحوة المقاصدية بمختلف تجلياتها وعطاءاتها تشكل نجما ساطعا في سماء العلوم الشرعية والفكر الإسلامي، في هذا العصر.

Copyright © 2022 JCMS